

تجليات البعد الجبري في اللغة في كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" لدي سوسير

حفصة فقاص

جامعة الجزائر 2 - الجزائر

feghafou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/11/15 تاريخ القبول: 2019/04/16

الملخص

تعبّر النظرية الجبرية لدو سوسير، التي تتجلى في كتابه "كتابات في اللسانيات العامة"، عن توقه لجعل اللسانيات علماً صورياً يتحرى الدقة العلمية الكفيلة بتحقيق أهدافه، فلا يمكن اعتبار انتظام الوحدات اللغوية اعتباطياً خالياً من منطق معين، ويعد التجريد الجبري أنجع الطرق لفهم هذا المنطق. كما أنّ صياغة اللغة في بعض جوانبها في قوالب رياضية دليل على طبيعتها الجبرية التي تسهل على الباحث التوصل إلى الأسس الكلية التي تجمع الألسن على اختلافها وهو هدف اللسانيات الأسمى.

الكلمات المفتاح:

منطق - جبرية اللغة - لسانيات - دو سوسير.

مؤلف المراسل: حفصة فقاص، البريد الإلكتروني: feghafou@gmail.com

La dimension algébrique du langage selon De Saussure dans son livre "Ecrits de linguistique générale"

Résumé

Le principe de algébricité dans la théorie Saussurienne démontre que le langage humain a une logique spéciale ce qui l'a amené à une réflexion purement algébrique, basée sur le principe de la dualité qui est l'essence même du langage chez lui, permettant au chercheur de démontrer l'existence des universaux qui sont l'objet même de la linguistique.

Mots clés:

Algébricité - linguistique - langage humain - De Saussure.

The Algebraic Dimension Of The Language In De Saussure's Book "Writings In General Linguistics"

Abstract

The Saussurean Algebraic theory, that was illustrated in "Writings in General Linguistics", expresses De Saussure's desire to make the linguistics a formal science that relies on scientific strictness. Thus, we can not consider the regularity of linguistic units arbitrary de voided of a certain logic, In that perspective, the algebrical abstraction is the best way to understand this logic, that's on one hand. On the other hand, some aspects of the language attest of its algebrical nature which makes it easier for the researcher to reach the global bases that gather the languages despite of their differences, and that's the ultimate goal of the Linguistics.

Key words:

Algebraic - linguistics - human language - De Saussure.

مقدمة

يرمي مقالنا إلى إلقاء الضوء على بعض المفاهيم الجبرية في اللسانيات السوسورية من خلال كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" الصادر سنة 2002 والذي يقدم دو سوسور من خلال مخطوطه الذي "يعد كاتباً مكتملاً عن اللسانيات العامة اتضحت فيه فكرة جبرية اللغة عند دو سوسير" (Bouquet, 1997, p. 188).

يقر "سيمون بوكيه" أن كتاب "دروس في اللسانيات العامة" قد شوه الفكر السوسوري من خلال الطرق المسدودة التي قاد إليها النظرية السوسورية" (Bouquet, 1997, p. 2). وما أغفله من محطات هامة تطورت خلال القرن العشرين كالنظرية التركيبية والعلوم المعرفية، من هذا الباب نجده يقر أن كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" *Ecrits de linguistique générale* جاء لي طرح أفكاراً ثورية لم نعرفها عن "سوسير"، وهو ما ذهب إليه "أنتوان كوليو" فهو يقول إن "ما جاء في هذا الكتاب جعله يعيد النظر في الأفكار التي نشأ عليها وما ذهب إليه قبلاً إذ يعد تحولاً مشهوداً" (Bouquet, 1997, p. 2).

ينقسم مقالنا إلى عدة أقسام تتعدد بتعدد المفاهيم التي نود تناولها ويختص أول قسم بالثنائيات، إذ يرى دو سوسور أنه "يمكن الإحاطة بالظاهرة اللغوية من خلال خمس ثنائيات أو ست" (De Saussure, 2002, p. 298) عوض الثنائيات الأربع المشهورة التي نجدها في دروس في اللسانيات العامة والمتمثلة في (لسان، كلام)، (الدراسة الآنية، الدراسة التاريخية)، و(دال، مدلول)، (محور استبدالي، محور تركيبى) فهو يرى أن المبدأ الثنائي القائم على التقابل الوظيفي التكاملي أساس وجود اللغة.

وسنعرض فيما يلي الثنائيات الواردة في "كتابات في اللسانيات العامة" وذلك بغرض بيان المنطق الجبري الرياضي الذي استند إليه دو سوسير في ثنائياته، إذ اعتمد على الإحداثية والمتغير من الشكل (y, x) في كل ثنائية.

- تعبر الثنائية الأولى عن "الجانبين النفسانيين للدليل اللغوي فالدليل اللغوي جمع

بين مسارين داخليين مترابطين" (De Saussure, 2002, p. 299). لم يحدد دو سوسير قطبي الثنائية في مرحلة أولى وقد حددهما لاحقاً من خلال النظر في الدور الذي تلعبه مادة اللغة في تحديد شكلها.

- الثنائية الثانية (كيان، كتلة) وهي مقابلة بين "اللغة ككيان وظاهرة اجتماعية من جهة، ومجموع الناطقين بها ككتلة من جهة أخرى" (De Saussure, 2002, p. 299) لم يستطرد دو سوسور في شرح هذه الفكرة وتجاوزها إلى الثنائية المولوية ليعود إليها لاحقاً، لكن هذا لم يحل دون الكشف عن كون العلاقة بين قطبي الثنائية قائمة على مفهوم رياضي هو الاستلزام.

- الثنائية الثالثة (لسان، كلام) الشيء الجديد هو المكانة التي يحتلها الكلام مقابل اللسان، إضافة إلى الإسقاط المفهومي الاقتصادي للكامن (passif) والمتحرك (actif) على قطبي الثنائية حيث يمثل الأول اللسان كظاهرة مرتبطة بمجموع الناطقين بها، أما الثاني فيمثل الكلام من حيث كونه نتيجة إرادة المتكلمين.

- الثنائية الرابعة (اللسانيات الآنية، اللسانيات التاريخية) وهي تماماً كما جاءت في الدروس.

وقد ورد في الكتابات أن الدراسة الآنية هي العلم الذي يتناول الظاهرة بالفحص والدراسة، أما الدراسة التاريخية فهي بمثابة نظرة في تطور الظاهرة بالنظر إلى العوامل المتدخلة فيها، وقد لخصها في العملية التالية:

"La masse parlante × Temps (De Saussure, 2002, p.334)

- الثنائية الخامسة (العلاقات التركيبية، العلاقات الاستبدالية) اعتمد في شرحه لهذه الثنائية على مفهوم رياضي هو المَعْلَم، وقد أضاف عامل الزمن في المحور الأفقي، أي محور المتعاقبات وصاغ دور الزمن في هذا المحور كما يلي: "chose × temps" (De Saussure, 2002, p. 333)، وهو ما سنجده في مبدأ الخطية لاحقاً.

تقودنا المقارنة البسيطة بين الكتابات والدروس إلى أَنَّ الثنائية الأولى تحولت إلى الثنائية (دال، مدلول) في الدروس، أما الثنائية الثانية فانصهرت في الثالثة، وذلك

للتداخل الكائن بينهما وهو ما ملحناه من خلال شرحه للثنائية الثالثة.

ويتعلق القسم الثاني من مقالنا بطرح جديد يتمثل في اقتراح دو سوسور نوعين من الدراسة هما "لسانيات اللغة" و"لسانيات الكلام". إنَّ الهدف الأساسي لللسانيات حسب الدروس هو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، فمن المعروف أن الدروس جعل هدف الدرس اللساني ذلك النظام المتكامل والمتجانس، لكننا نجد دو سوسير في الكتابات يتساءل عن "إمكانية جعل موضوع اللسانيات خاضعاً للملاحظة تماماً كالفيزياء والكيمياء" (De Saussure, 2002, p. 19). وهو يشبه اللسانيات التي يطمح إليها - من حيث طريقة التعامل من الظواهر اللغوية- بالكيمياء والفيزياء وعلم الفلك، ذلك أننا نتعامل مع الوحدات اللغوية بالنظر إلى طبيعتها أولاً وطريقة تفاعلها فيما بينها ثانياً، وقد حدد موضوع اللسانيات بعزل اللسان عما يكون مادته الفيزيائية والفيزيولوجية، وما يمثله من أفكار وضرب مثالا بكلمة: (mer). فإذا تعلق الأمر بالكتلة الصوتية m+e+r من حيث فيزيائيتها وكيفية نطقها فهذا لا يعني اللسانيات، بل "لا تعد ظاهرة لغوية قابلة للدراسة إلا إذا اتصلت بفكرة" (De Saussure, 2002, p. 20)، وهو ما يتفق إلى حد بعيد مع ما جاء في الدروس.

إنَّ المقابلة بين "لسانيات اللغة" و"لسانيات الكلام" مستمدة من مقابلة أخرى (لسان، كلام) والجديد في الكتابات هو إلغاء فكرة إقصاء الكلام من دائرة الدرس اللساني، فهو من اختصاص لسانيات الكلام إضافة إلى أنه الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من ملاحظة الظواهر اللغوية، وهو ما توصل إليه تشومسكي في مفهوم التأدية ليكسر التجريد الذي طغى على تصوره للملكة اللسانية.

يعد هذان النوعان من الدراسة متقابلين منهجياً وتقابلهما مستمد من التقابل الأصلي بين اللسان والكلام بحكم كون اللسان القوة الكامنة (passive) والكلام القوة المتحركة (active) بالمعنى الاقتصادي للمصطلحين وهو من هذا الباب يعد المسؤول عما ينتج من تحولات في اللغة لكن "هذا لا ينفي كون

لسانيات الكلام أقل تبلوراً من لسانيات اللغة" (De Saussure, 2002, p. 28). إنَّ ما يميز هذه الرؤية الجديدة هو كون دو سوسير، وإن لم يجعل الكلام هدفاً للدراسة اللسانية من حيث فرديته، إلا أنه جعل منه السبيل إلى إجلاء الظواهر اللغوية من خلال الممارسة الاجتماعية وهو ما نجده جلياً لدى "تشومسكي" لاحقاً عند حديثه عن ثنائية (الملكة - التأدية).

يرتبط القسم الثالث بالبعد الجبري لفكرة الدليل اللغوي لدى دو سوسور وكيفية تطورها من خلال الكتابات وارتباطها بمسارات الإدراك والعلوم المعرفية. يتحدث دو سوسور في الصفحة ٢٠ من الكتابات عن التقابل بين الصوت والفكرة (son / idée) ومنه الظاهرة الصوتية مقابل الظاهرة الذهنية، وهو يرى أنَّ هذا التقابل يقودنا إلى فرق جوهري بين الجانبين المادي الصوتي والفيزيولوجي الذهني، أي تدخل المسارات الفيزيولوجية في تشكل الفكرة أو ما يسمى التصور الذهني وهو ما يختلف عن طرح الدروس فالجانب الفيزيولوجي غير مهم تماماً كالفيزيائي فهو يمثل مادة اللغة في حين تهتم اللسانيات بشكل اللغة.

وقد لفت انتباهنا أنَّه في طرحه عرض مجموعة من التقابلات والتمثيلات الجبرية مثلاً (الدليل، معناه)، (شكل، معنى) ويعادل الشكل الصورة الصوتية (forme vocale) وقد مثلها جبرياً بالكسر:

المعنى

الشكل

ثم عرض وجهة نظر جديدة هي:

الاختلافات العامة بين المعاني

المعنى المنسوب إلى الشكل



الاختلافات العامة بين الأشكال

شكل منسوب إلى المعنى

وهو ما يستلزم أن اختلاف المعنى مرتبط بالشكل وتحوله عبر الزمن، وكذا

بالنسبة للمعنى، "وأن الوحدات معزولة عما تمثله من قيم خلافة تعد وحدات سلبية" (De Saussure, 2002, p. 273). والسلبية هنا تعني عدم وظيفية الوحدة. يذهب دو سوسور إلى أن تشكل الدليل يتم عندما تتحد الفكرة بالصورة الصوتية ضمن مسارات إدراكية معقدة، وهو ما يحيلنا إلى دور الإدراك في التشكل النفسي للدليل لدى المتكلم وهو مفهوم محوري في العلوم المعرفية وكذا اللسانيات النفسية والعصبية. الجديد في الكتابات هو أن الدليل ليس شكلاً ومادةً فحسب، فهو كيان روحي "يستمد وجوده من ماديته، أي من فعل إنتاجه تماماً كما نجده في "الثنائية الديكارتية الشهيرة (جسم/روح)" (De Saussure, 2002, p.273). فلا يمكن الفصل بين الجسم والروح دون إلغاء وجودهما. وقد استعمل في غمار حديثه عن الدليل التحدد الإيجابي (+) والسلبى (-) لوحدة ما فيما يتعلق بالقيم الخلافة (différentialité)، أو ما يسمى بالتقابل فهو بالنسبة إليه "أهم شيء تقوم عليه الظواهر اللغوية" (De Saussure, 2002, p. 83). إذ يعد هذا المبدأ أساسياً للتحليل اللساني للظواهر اللغوية فهو وحده من يحدد الجدير بالدراسة منها، فعلى اللساني إهمال الظواهر التي لا تحدد خلافاً معتمداً على مبدأ التحدد الإيجابي أو السلبى بالنسبة إلى قيمة ما.

يتناول القسم الرابع مبدأ الجبرية (le principe d'algébricité) إذ يرى دو سوسير أن "اللغة متتالية جبرية من الأدلة" (De Saussure, 2002, p. 34). وهو يرى أن "اللساني يجب أن يهتم بالتراكيب اللغوية بالنظر إلى العلاقات الرابطة بين وحداتها باعتبارها تتالياً جبرياً" (De Saussure, 2002, p. 236). ويقتضي مبدأ الجبرية لديه المناداة بأهمية مادية اللغة التي تتجلى من خلال حسيته المتجسدة في الاستعمال الاجتماعي لها، ونجده في الصفحة 206 من الكتابات يعبر عن الفكرة نفسها معتبراً أنه بإمكاننا التعبير عن البنى اللغوية بصيغ رياضية، ويذهب إلى أن التنوع المتتالي في إمكانيات التركيب المتاحة في اللغة لا يمكن التعبير عنه إلا من خلال المنطق الجبري، فاللغة

تتكون في أدمغة المتكلمين وفق منطق خاص يمكن أن يختزل في صيغ رياضية "De) (Saussure, 2002, p. 206). فقد اختزل العلاقة بين جزئي الدليل المادي والروحي بالكسر:

$$\frac{\text{المعنى}}{\text{الشكل}} \longleftarrow \frac{\text{sens}}{\text{forme vocale}}$$

مستعينا بالعلاقة الرياضية الرابطة بين البسط والمقام وهي علاقة تلازمية فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر تماماً كوجهي الدليل اللغوي، إضافة إلى النسبية التي تجمعهما فهما نسبة بالمفهوم الرياضي للكلمة والرابط بينهما صلة الجزء بالكل، فقد يكون البسط جزءاً من المقام إذ يمكن أن تمثل الصورة الصوتية (المقام) معان متعددة كما نجده في حال المشترك اللفظي في اللغة العربية على سبيل المثال. إنَّ الثنائيات نفسها عبارة عن ثنائيات رياضية ديكارتية من الشكل (y, x) تربط بين قطبيها علاقة خاصة، إذ تعد الإحداثية y صورة للإحداثية x مثلما هو الحال في الثنائية (لسان، كلام). ويستعمل دو سوسير المعادلات إضافةً إلى التمثيلين الثنائي والنسبي، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

"Forme= éléments d'une alternance

Alternance= coexistence" (De Saussure, 2002, p. 36)"

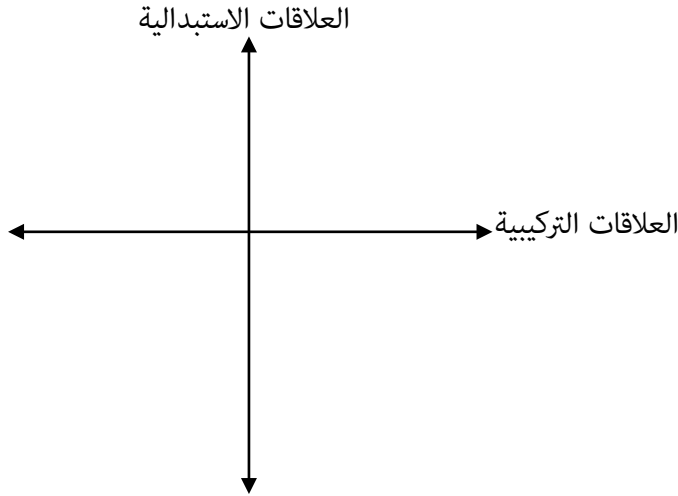
ليشرح العلاقة الرابطة بين الوحدات المترابطة زمانياً ومكانياً في متتالية لغوية ما التي قد تقل أو تزيد عن مستوى الجملة بالاستناد إلى التعاقب والتزامن. وتستلزم علاقة التعدية الرياضية معادلة جديدة هي:

"Forme= coexistence"

وقد استعمل دي سوسير المعادلة الأولى للتعريف بمفهوم الشكل فيما يخص المستوى الإفرادي حيث تحدد الوحدات شكلياً بكونها جزءاً من متتالية تعاقبية، وأنَّ التعاقب يساوي التواجد مع أخذ عامل الزمن بعين الاعتبار. وقد أتاحت علاقة التعدية معادلة

جديدة تفيد أن شكل المفردة يتحدد عبر إمكانية تركيبها وهو ما يساوي التزامن في المحور التركيبي.

يزخر الكتاب بهذه التمثيلات الرياضية خاصةً ما يتعلق بالمفاهيم الأساسية كاستعمال المحور للتعبير عن العلاقات الاستبدالية والتركيبية:



ما لفت انتباهي في هذا الشق هو أنّ دو سوسور استعمل الضرب (x) في المحور الاستبدالي العمودي كما يلي: (chose x temps)

وقد استعمل عامل الزمن بالمعادلة نفسها للتعبير عن البعد التطوري للغة :

(De Saussure, 2002, p. 333) (La masse parlante x temps)

وعملية الضرب (x) هنا تمثل التحول الذي تشهده اللغة، ففي الحالة الأولى (chose x temps) يمكن أن نقابل (chose) بأية وحدة من وحدات التحليل اللساني.

يختص القسم الخامس بمفهوم الخطاب والعلاقة الجبرية بينه وبين اللغة في الكتابات ذلك أنّ دو سوسير يطرح تساؤلات عميقة عن الخطاب واللغة والحد الفاصل بينهما وعلاقة ذلك بالاستعمال، كما نجده يتساءل عما يمكن أن يجعلنا نقول إن اللغة تتحول إلى حدث من خلال الخطاب بالنظر إلى التعريف الأولي للغة كنظام متجانس من الأدلة. وقد أشار إلى أن الوحدات المكونة للغة كالكلمات يجب

"أن تتحد وتتفاعل بطريقة ما لتشكل الخطاب لتعكس فكر الناطقين بها" (De Saussure, 2002, p. 275). وعليه، فإنَّ الرابط بين اللغة والخطاب هو التعبير عن الفكر، وقد أقر دو سوسير في بداية حديثه عن الخطاب أن التجسيد الفعلي للغة لا يكون إلا من خلال الخطاب وهو بهذا يساوي بينه وبين الكلام. وهو ما يدخل العلاقة لغة - الخطاب في البعد التواصلية كما جاء عن "بنفنست".

يرى دو سوسور أن التخاطب مجال كل التحولات الصوتية أو التركيبية فالحاجة إلى التواصل تدفع المتكلم إلى "استثمار المعارف المخزنة في دماغه لتشكيل قوالب جديدة تعبر عن أفكاره" (De Saussure, 2002, p.95). وهنا نلمس مفهوماً جديداً يرتبط بالاستعمال وهو الإبداع الذي يعد نتيجةً للارتجال في وضعية تخاطبية معينة، ممَّا يستلزم تدخل مكونات خارجة عن ذات اللغة مستمدة من ملابسات الخطاب إضافةً إلى تدخل العوامل الفيزيولوجية وما يحدث في دماغ المتكلم-المستمع من مسارات إدراكية معرفية تعمل على تشكيل الخطاب وإحداث التواصل وحتى الإبداع

خاتمة

خلاصةً يمكننا القول إنَّ مبدأ جبرية اللغة يثبت وجود منطق تنظم وتتطور وفقه اللغة، رغم اعتبارية الدليل اللغوي، وأن صياغة بعض جوانبها في قوالب رياضية دليل على طبيعتها الجبرية التي تسهل على الباحث التوصل إلى الكليات التي تجمع الألسن على اختلافها وهو ما تهدف إليه اللسانيات.

إن النظرية الجبرية لدو سوسور تعبر عن توقه لجعل اللسانيات علماً صورياً يتحرى الدقة العلمية الكفيلة بتحقيق أهدافه، فلا يمكن اعتبار انتظام الوحدات اللغوية ضمن البنئ اعتبارياً خالياً من منطق ما، ويعد التجريد الجبري أنجع الطرق لفهم هذا المنطق. ويمكننا القول إنَّ كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" قدم لنا دو سوسور كما أراد هو وليس كما فهمه غيره وأظهر أنه كان سابقاً لطرح مفاهيم طورت بعده كالإبداعية والتداولية ومفهوم الجبرية الذي يعد أساس اللسانيات الصورية.

المراجع

- De Saussure, Ferdinand. 2002. Ecrits de linguistique générale. Editions Gallimard. Paris.
- De Saussure, Ferdinand. 1999. Cours de linguistique générale. Editions Tallantikit. Alger.
- Bouquet, Simon. 2008. Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux. fd. vol x||. Paris.
- Bouquet, Simon. 1997. Introduction à la lecture de Saussure. Bibliothèque
- Histoire épistémologie langage. Tom 19 fascicule scientifique Payot. In: paris.